التحالف الصهيوني ـ الامبريالي، وان حدة هذا الصراع تضاعفت بعد نجاح هذا التحالف بإقامة الكيان الصهيوني فوق فلسطين.

ومتفقون كذلك، انه منذ العام ١٩٤٨ والعرب رسمياً في حالة حرب مع «اسرائيل» وان هذه الحالة لا تزال قائمة شاملة، باستثناء مصر بعد أن أقرت اتفاقيات كامب ديفيد ووقعت معاهدة صلح.

ومتفقون أيضاً، على أن حالة الحرب هذه، وعمرها ثلاث وثلاثون سنة، لم تكن كلها سنوات حارة، وإنما شهدت عدداً من المجابهات العسكرية هي على وجه التحديد ما سمي بحرب ١٩٤٨ واشترك بها رسمياً كل عرب تلك الأيام، وحرب ١٩٥٦ وخاضتها مصر وحدها، وحرب ١٩٦٧ وخاضها المصريون والسوريون ببعض عون عربي متأخر، وحرب ١٩٧٣، وخاضها أيضاً المصريون والسوريون وببعض عون عربي اقتصادي مؤثر. ولقد شارك الفلسطينيون في هذه الحروب كلها بقدر ما كانت تسمح به ظروفهم، وأحياناً بقدر ما سمح الاشقاء لهم.

وبين كل حرب وأخرى من هذه الحروب، كانت تمر سنوات، تطول أو تقصر، يتخذ فيها الصراع مناح أخرى غير عسكرية، إلى أن تشتد الأزمات وتتفاقم، فتندلع الحرب من جديد.

فإذا كانت الحرب لا تسمى حرباً، إلا في حالة حسمها للقضية المُتَحارب من أجلها، بنصر فريق وهزيمة آخر فاستيلاد واقع جديد، فإن كل هذه الحروب، لا تختلف، وفق هذا المعيار، عن حربي ١٩٧٨ و١٩٨١. وإذا سلمنا بصوابية هذا المعيار، تكون كلمة «معارك» أكثر دقة في وصف ما أسميناه «حروباً». ولا شك أن عبدالناصر كان موفقاً تماماً في ما قاله عشية هزيمة حزيران: «إننا خسرنا معركة ولكننا لم نخسر الحرب»، وجاءت معركة تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ في سياق هذه «الحرب» لتؤكد ذلك، ومن بعدها، وفي السياق نفسه للحرب نفسها، كانت معركة ١٩٧٨ ومعركة ١٩٨١ وتلك القادمة على الطريق.

ولن نحاول الخوض في المعايير الفنية التي تميز بين «الحرب» و«المعركة» و«الصدام المسلح» وغيرها من المسميات، أو الحديث عن كثافة النيران وأوزان القنابل ونوعية الأسلحة، لنقرر بعد ذلك إذا ما كانت «الحربان» الخامسة والسادسة تستحقان لقبيهما ورقميهما في مسلسل الحروب العربية «الاسرائيلية»، فأنا كما قلت غير مؤهل لمثل هذا الحديث، وأكتفي بالاشارة إلى ما تشهد به ميادين هاتين «الحربين» وما فعلته بها أحدث وأفتك أنواع الأسلحة البرية والجوية والبحرية. أما أعداد الضحايا، من شهداء أو جرحى، فحاشا لنا اعتماد هذا المعيار، فالإنسان ليس رقماً.

مع ذلك، فليس في أي من هذه التسميات ما يضير بحد ذاته، وكم من معركة كانت في نتائجها أهم من حرب ضروس. فمن كان يتصور، مثلاً، ما ترتب على معركة «الكرامة» ١٩٦٨، والتي لم تدم أكثر من يوم، من نتائج تعبوية وسياسية وعسكرية في الساحة الفلسطينية! المهم هو أن تكون التسمية بمستوى الانجاز الذي تم في ميدان القتال تمهيداً لكي «نحصد سلماً ما زرعناه قتالاً» كما ورد في تعليق أحد كتابنا السياسيين، الواعين.